المحاضرة السادسة:

موقف كارل بوبر من الاستقراء

شكل نقد الاستقراء هاجسا أساسيا لازم بوبر على الدوام إلى درجة أنه لم يتردد في الاعتراف بكون النظرية التي قدمها في كتابه " منطق الكشف العلمي" تبلورت في تعارض مع " كل الأعمال التي حاولت استعمال مفاهيم المنطق الاستقرائي" فعلى غرار المفكرين السابقين، وعلى راسهم دفيد هيوم و لينغ، وبوانكاري، وجه بوبر جملة من الانتقادات الهامة للاستقراء ، وحاول بذلك فرض الاستقراء وحل مشكلته بان عرضها عرضا منطقيا،و بذلك سجل نصرا فلسفيا وؤداه حل مشكلة الاستقراء، ولكي يثبت هذا الشيء يبدأ تناوله للمشكلة بأن يبسطها على صورتها التقليدية مبينا عيوب هذه الصورة وجذورها، لذا وجه بوبر مجموعة من الانتقادات للاستقراء من جانبيها هما الجانب المنطقي و الجانب السيكولوجي

ا/- المشكلة المنطقية للاستقراء:

بدأت المشكلة حينما أشار اهتمام هيوم بالمعرفة الإنسانية إلى وجود تساؤلات لديه حول إمكان تبرير اعتقاداتنا، ولما كان الاستقراء هو لغة العلم السائد حينئذ فقد تساءل هيوم: هل يسوغ لنا استنساخ حالات او نتائج تفتقر الى خبرتنا من حالات متكررة قامت على تلك الخبرة وعلى الرغم من ان هيوم يجيب بالنفي على هذا التساؤل، وهو ما يتفق مع الاتجاه العام لدى بوبر، فإن بوبر يرى ان ألفاظا مثل)اعتقاد(او)تبرير الاعتقاد(وغيرها مما عرضها هيوم في اثناء طرحه للمشكلة ال مجال لها عند النظر في المشكلات المنطقية، ويرى بوبر ان هذه الألفاظ او الحدود الذاتية يمكن ان يحل محلها حدود موضوعية، فيقترح بوبر الحديث عن)نظرية تفسيرته(بدالً من لفظة)اعتقاد(وكذلك بدالً من ان نتحدث عن انطباع نتحدث عن قضية ملاحظة او عن قضية اختيار، و يرى بوبر التحدث عن تبرير القول بأن نظرية ما صادقة، لغرض هذه التعديلات وهنا ليس حالا لمشكلة الاستقراء ،لأنه لا مشكلة هنا في نظر بوبر، وانما نعرضها كارهاص بوبر، حيث لم تأت التعديلات من فراغ وانما يضعها بوبر لكي يعيد طرح المشكلة المنطقية للاستقراء على النحو التالي:

هل يمكن تبرير القول بأن صدق نظرية تفسيرية يقوم على أسباب امبريقية مثل افتراضنا صدق قضايا اختبار معينية او قضايا ملاحظة تستمد من الخبرة؟

يتفق هيوم وببر في الرد بالنفي على هذا السؤال فليس لأي عدد ممكن من القضايا الصادقة أن يبرر القول بصدق نظرية و أن الخبرة سواء كانت تتعلق بالملاحظة أو نتيجة تجربة يمكن اعتبارها قضية مفردة وليست كلية. فإذا قلنا يمكن معرفة صدق القضية الكلية من الخبرة، فذلك يعني رد صدق القضية الكلية إلى صدق القضية المفردة من دون سند منطقي.

ويعيد بوبر عرض المشكلة المنطقية بأسلوب يمهد به لمنهجه فيتساءل: هل يمكن تبرير القول بأن (صدق أو كذب) نظرية عليه تفسيرية يقوم على اسباب امبريقية؟ ويتولى بوبر الاجابة هذه المرة بالاجاب، في رأيه أن افتراض صدق قضايا الاختبار و يسمح لنا في بعض الأحيان بتبرير لا القول بأن احدى النظريات الكلية التفسيرية نظرية كاذبة.

بهذا انتقل بوبر بخطوات وليدة من مجرد رفضه مع هيوم إقامة منهج الاستقراء على أساس منطقي إلى التمهيد لنظريته القائلة بأنه يمكننا الحصول على معرفة تجريبية من دون استخدام خطوات استقرائية حيث يمكنن الاختيار بين النظريات العلمية المتنافسة من دون الاستعانة بالاستقراء.

ب/- المشكلة السيكولوجية للاستقراء:

يرى بوبر أن هيوم أثار المشكلة السيكولوجية للاستقراء، لذلك فقد بدأ بوبر بعرض المشكلة السيكولوجية مما أشار إليها هيوم في التساؤل: لماذا يتوقع كل امرئ أو يعتقد أن الحالات التي تفتقر إلى الخبرة سوف تطابق الحالات التي قامت على الخبرة ، وبمعنى آخر: ما سر هذه التوقعات التي تتمتع لدينا بقناعة كبيرة.

وارجع هيوم ذلك كما هو معروف إلى حكم العادة الناتج عن وقع التكرارات وتتابع الأفكار، إلا أن بوبر لا يقبل هذا الحل من جانب هيوم ويرى أنه كان على حق حينما اعلن أنه لا يوجد ما يسمى استقراء بالتكرار في المنطق، وكان حريا به أن يطبق هذا الرأي نفسه في مجال علم النفس، وبوبر يشير طرحه هنا إلى أحد مبادئه الشهيرة وهو مبدأ التحويل ومنطوقه (ما يصدق من المنطق يصدق في علم النفس) مشيرا على أن تطبيق هذا المبدأ لدى هيوم كان يخلص فلسفته مما احتوته من عناصر لا عقلانية، ويمكن لنا أن نقف ههنا للرد على بوبر ذلك أن هيوم لم يكن مشغولا بقضايا بوبر نفسها، كما أن قيام هيوم بنفي الضرورة المنطقية بين هاتين لم يكن بالاقتراح اليسير ولا المعقول في عصره، وإن قيامه بهذا العمل المنهجي العظيم كان ثورة فكرية بكافة المقاييس، يسرت للعلم طفرة في طريق تطره بعد أن تغيرت بعض الأسس التي يقوم عليها، و من ينكر اثر هيوم على فلاسفة وعلماء عصره. يصيغ بوبر الاستقراء كاعتقاد ما عن طريق التكرار هو محض خرافة.

يرى بوبر أن الاستقراء الذي ينتقل من القضايا الجزئية إلى الكليات الكلية التي تتسم بالعمومية ليس له ما يبرره، لأننا قد نأتي إلى نتيجة كاذبة، ومن ثم فإنه يرفض تأسيس صدق القضايا على أساس صدق التجربة، وإن وصف

القضايا الكلية بصفة العمومية بناءا على هذا الانتقال يتطلب منا أن نقوم باستقراء تام لكل الجزئيات الموجودة في العلم وهذا مستحيل، وعلى هذا النحو نجد بوبر يصطدم برأي رانشنباخ الذي أكد أهمية مبدأ الاستقراء، على اعتبار أنه يحدد صدق النظريات العلمية بمعنى أن نحذفه في العلم هو أن نحدد العلم من القوة التي يقدر عن طريقها صدق أو كذب نظرياتها.

هكذا ينتهي بوبر إلى أن نظرية هيوم الاستقرائية في صياغة الاعتقادات بناءا على التكرار لا يمكن أن تكون صادقة، و إن اهتمام الفلاسفة بالاعتقاد انما ينتج عن تلك الفلسفة الخاطئة التي يطلق عليها بوبر المذهب الاستقرائي، والبديل البوبري هو القول بتوقعات يشبر بها إلى حالات نفسية مؤقتة، أما خطورة القول بالاعتقاد فتأتي من أن معظم الفلاسفة يقصدون بها الاعتقاد الراسخ، وبوبر يحارب كل ما هو راسخ، ولا يقوم على أساس وهذا الاعتقاد الذي يناله التغير نصوغه، فإنه يتغير مرة ثانية بعد أن تتم صياغته بالفعل فلا معنى لرسوخه أو ثباته، التوقعات هي البديل عن الاعتقاد عند بوبر.